أبو الحسن علي الحسني الندوي

وَامُعْتَصِمَاهُ !

ملتزم الطبع و النشر
المجمع الاسلامى العلمى
ندوة العلماء — ص . ب ١١٩
لكهنؤ — الهند

www.abulhasanalinadwi.org

مطبوعات المجمع الاسلامى العلمى

رقم ١٤٢

الطبعة الثانيــة

مطبعة لكهنئو بـبليشنك هاؤس ـ لكهنئو ،الـهند

١٤٠١هـ المصــادف ١٩٨٠م

www.abulhasanalinadwi.org

بسم الله الرحمن الرحيم

روى المؤرخ الكبير ابن الأثير في « الكامل » أن المعتصم بلغه أن امرأة هـــاشمية صاحت وهي أسيرة في أيدي الروم « وامعتصماه ! » فأجابها وهو جالس على سريره: لبيك ،لبيك،ونهض من ساعته ، وصاح في قصره : النفير النفير ! وأشهد القضـــاة والشهود على ما وقف من الضياع ، وغزا « عمورية » ، وأمر بها فهدمت وأحرقت (١) .

هذا حديث عصر كانت السيطرة فيه للحمية الاسلامية ، والغضب للحق ، والانتصار للمظلوم ، والأخذ على يد الظالم ، وكان الذين يتولّون أمور المسلمين يعتبرون أنفسهم حماةً للاسلام والمسلمين ، يجازفون في سبيل حماية فرد ضعيف ، وفي سبيل عجوز بائسة بحياتهم وملكهم ، وكان المسلم ، قوياً ، عزيزاً ، آمناً ، مطمئناً في كل بلد ، وفي أقصى العالم ، يؤمن بأن له أنصـــاراً يحمونه ، وإخوة أشقاء يثورون له ، وكان المجرمون يعتقدون أن الاعتداء عليه إثارة ليوث الغاب ، وتحريك خلايا للنحل الحانقة

---

(١) إقرأ القصة بطولها في « تاريخ الكامل » ج/٦ ص ١٧٦ - ١٨٠ .

www.abulhasanalinadwi.org

الموتورة ، لا تهدأ حتى تنتقم لصاحبها ، وأنها لا ينجو منها العدو المثير في بر ولا بحر ، وكان الواحد من هذه الأمة يعد بعـــدد المجموع ، وكان الواحد يقوم بكل ما يتمتع به من حماية ونصرة .

كان الأمراء المسلمون الذين روى التاريـخ عنهم كل فضيحة وشائنة ، ولم يعدوا قط في طبقة الصالحين الأبرار ، أو العادلين الأخيار ، ولم يزعموا لأنفسهم فضلاً في دين أو علم ، بل اعترفوا بذنوبهم ، وأقروا بخطاياهم ، بلغت بهم الحمية الاسلامية ، إلى أن أرسلوا جيوشاً كثيفة يقودها أفضل قادتهم ، وأعزهم عليهم ، لحماية بيت من بيوت المسلمين ، أو نسوة غريبات تعرض لهن بعض من لا خلاق لهم بأذى أو اعتداء ، وكانت مغامرة خطرة ، وقام الله شرها ، لاخلاص نيتهم ، وسموّ عاطفتهم ، وكان سبب فتـح عظيم ، وبداية عهد جديد ، فقد روى البلاذري في كتابه الشهير « فتوح البلدان » :

« إن نسوة مسلمات في سفينة ، عرض لهن قوم من ميد [1]

---

(١) من أقدم الشعوب الهندية .

www.abulhasanalinadwi.org

الديبل (١) في بوارج ، فأخذوا السفينة بما فيها ، فنادت امرأة منهن ، وكانت من بني يربوع : يا حجاج ! وبلغ الحجاج ذلك ، فقال : « يا لبيك » فأرسل إلى داهر ليسأله تخلية النسوة ، فقال : إنما أخذهن لصوص لا أقدر عليهم ، فأغزا الحجاج عبيد الله ابن نبهان الديبل ، فقتل ، ثم أمر بديل بن طهفة ، فلما قتل ولّى الحجاج محمد بن القاسم في أيام الوليد بن عبد الملك ، فغزا السند(٢).

والتاريخ الاسلامي حافل بمثل هذه المآثر ، والبطولات ، والمغامرات التي تجلت فيها الغيرة التي هي من أعظم مواهب الله تعالى ، ومن أسمى الأخلاق التي تكتسب بها الحياة الانسانية الحرارة ، واللذة ، والعزة ، والكرامة ، ويرجع إليها الفضل الأكبر في حماية المدنية الصالحة ، والحقوق الانسانية ، وعقوبة العابثين بكرامتها وحرمتها وقداستها ، المعتدين على الضعفاء ، المتمسكين بشريعة الغابات ، وقانون العصابات .

وقد عيّر الانسانُ في كل زمان ومكان كلَّ من تجرد عن

---

(١) قال ياقوت : مدينة شهيرة على ساحل بحر الهند .

(٢) « فتوح البلدان » ص ٤٤١ باختصار.

www.abulhasanalinadwi.org

هذه الغيرة ، ووصفه بأقبح الأوصاف والنعوت ، وكان العرب الذين عاشوا في جاهليتهم وإسلامهم ، على أفضل السجايا الخلقية ، والمواهب الفطرية ، يعتبرون هذه الغيرة أساس أخلاقهم ، وعماد حياتهم ، ويعيّرون القبيلة التي تخذل أختها في النائبات ، وعند شن الغارات ، وتتهاون في نصرتها ، عاراً يلتصق بهـــا على مدى الدهر ، ويتوارثه الأبناء من الآباء ، وأبناء الأبناء ، ويهجونهـا الهجاء المقذع الذي يخلد في تاريخ الأدب ، وكان المبدأ الذي يؤمنون به « أنصر أخاك ظالماً او مظلوماً »[1] وكل من أخل به، أو فرط فيه كان من سقط المتاع وممن لا قيمة له في المجتمع .

أغار ناس من بني شيبان على قريط بن أنيف أحد بني العنبر ، وأخذوا له ثلاثين من الابل، ولم يقم له بنو قومه بما جرت به العادة في الجاهلية من النصر والحماية ، فغضب الشاعر العربي الكريم الأبي وقال شعراً خالد أطار في الآفاق ، وذهب مثلاً في المجتمـــع العربي ، وهو من الشعر العالمي البليغ الخالد :

---

(١) نصر الظالم في الاسلام أن تأخذ على يديه وتمنعه من الظلم .

www.abulhasanalinadwi.org

لو كنت من مازنٍ لم تستبح إبلي
بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا

إذاً لقام بنصري معشر خشن
عند الحفيظة أن ذو لوثة لانا

قوم إذا الشر أبدى ناجذيه لهم
طاروا اليه زرافات ووحدانا

لا يسألون أخاهم حين ينديهم
في النائبات على ما قال برهانا

لكنّ قومي وإن كانوا ذوي عدد
ليسوا من الشر في شيء وإن هانا

يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة
ومن إساءة أهل السوء إحسانا

كأن ربّك لم يخلق لخشيته
سواهمُ من جميع الناس إنسانا

فليت لي بهمُ قوماً إذا ركبوا
شدوا الاغارة فرساناً وركبانا(١)

---

(١) « ديوان الحماسة » لأبي تمام الطائي .

www.abulhasanalinadwi.org

وجاء الاسلام ، وأدخل على المبدأ الجاهلي الذى أصبح شريعة يعمل بها العرب ، تعديلاً يتفق مع روحه ورسالته وطبيعة الرسالات السماوية ، فقال الرسول ﷺ والصحابه حوله « أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً » ولما استغرب ذلك الصحابة رضي الله عنهم بما ألفوه وتذوقوه من تعاليم النبوة المنصفة ، قالوا : هذا ننصره مظلوماً ، فكيف ننصره ظالماً ؟ ففسره النبي ﷺ التفسير الاسلامي الجديد وقال : « تأخذ فوق يديه [1] » .

ظل العالم الاسلامي متمسكاً بهذا المبدأ النزيه الشريف ، ينصر المسلمون إخوانهم — القريبين والبعيدين — إذا كانوا مظلومين ، ويحولون بينهم وبين الظلم إذا كانوا ظالمين ، ويذمون الظلم بجميع أنواعه ، وفي كل بلد ، ولا يمالؤون الظالم ، ولا يقومون لجواره ، ولا يسكتون على ظلمه مهما كانت عاقبة ذلك ، ومن شذ عن ذلك ، عيّر بالخيانة والغدر ، وسقوط الهمة ، وتبرأ منه المسلمون ، وكرهوه كرهاً شديداً .

ثم أتى على المسلمين حين من الدهر ، استحوذت عليهم

---

(١) رواه البخاري ، ومسلم ، والترمذي .

www.abulhasanalinadwi.org

الأنانية ، وشهوة الحكم والملك ، وماتت فيهم الغيرة الانسانية ، فضلاً عن الحمية الاسلامية ، فكان لا يثـــير هم سقوط حكومة إسلامية ، أو جلاء شعب مسلم كبير ، أو مجزرة تقع في البلاد ، أو تحول مساجد إلى كنائس ، أو الأذان إلى الناقوس ، ووقوع حرائر مسلمات في يد العدو المتسلط ، إلى غير ذلك من الفضائح التي لا يحتملها الانسان الشريف .

وفي هذه الفترة المظلمة ، وقعت كارثة الأندلس ، فلم يستطع الشاعر الأندلسي « صالح بن شريف الرندي » الذي طاف في العالم الاسلامي ، ولم يستطع شعره الحزين الباكي أن يحرك ساكن القلوب ، ويثير كامن الغيرة والحميّة :

تبكي الحنيفية البيضاء من أسف
كما بكى لفراق الألف هيمان
على ديارٍ من الاسلام خـــالية
قد أقفرت ولها بالكفر عمران
حيث المساجد قد صارت كنائس ما
فيهن إلا نواقيس وصلبـــان

www.abulhasanalinadwi.org

حتى المحاريب تبكي وهي جامدة
حتى المنابر ترثي وهي عيدان
أعندكم نبـــأ من أهل أندلس
فقد سرى بحديث القوم ركبان
كم يستغيث بنا المستضعفون وهم
قتلى وأسرى فما يهتز إنسان
ماذا التقاطع في الاسلام بينكمُ
وأنتمُ يا عبـــاد الله إخوان
ألا نفوسٌ أبيات لهـا همم
أما على الخير أنصـــار وأعوان
لمثل هذا يذوب القلب من كمد
إن كان في القلب إسلام وإيمان

ولكن القلب لم يذب لأنه تجرد عن الغيرة منذ زمن طويل، وقعت مأساة الأندلس في عصر كانت الامبراطورية العثمانية تتسع فيه وتزدهر، وكانت إفريقية المسلمة تحتفل بالحكومات والامارات، وعرف العالم المسيحي أن المسلمين فقدوا الحمية الاسلامية التي كانت

www.abulhasanalinadwi.org

شعارهم وعقيدتهم في هذه المدة الطويلة ، وأنهم أصبحوا قطعان غنم ، كل يهتم بعلفه ونسله ، ومجموع أمم ، كل واحدة منها تنظر الى مصالحها الخاصة ، وقررت أن تعيش منطوية على نفسها ، يومئذ هان الاسلام والمسلمون ، وبقي العدو ينتهز الفرصة لاقتطاع هذا الملك العريض ، وهكذا كان « وما يوم حليمة بسر » .

نهض في العالم الاسلامي في الدور الأخير رجال يدعون الى إحياء الحمية الاسلامية في قلوب المسلمين ، ويشعلون الحماسة الاسلامية في نفوسهم ، وكانت أعظم قوة ، وأقوى عامل بنّاء جرّبه التاريخ ، ويدعون المسلمين في طرف الى اغاثة اخوانهم في طرف آخر ، فقام الامام السيد أحمد الشهيد وأصحابه في الهند ينتصرون لاخوانهم الذين كانوا يرزحون تحت نير الاستعباد في الحدود الشمالية الغربية من الهند ، وانطلقت موجة عاتية من الحمية الدينية التي حسبت لها الحكومة الانجليزية ألف حساب ، وقام السيد جمال الدين الأفغاني ، وأقام في الهند ومصر يدعو الى إلى الجامعة الاسلامية التي فزعت لها أوربا ، وخافت أن يخرج المارد من القمقم ، وقضى مدة في باريس يصدر منها مجلة

www.abulhasanalinadwi.org

« العروة الوثقى » التي كانت شعلة ملتهبة من الحمية .

وجاء الهجوم الغربي المنظم على الدولة العثمانية ، فهب العالم الاسلامي من شرقه إلى غربه ، يبدي سخطه الشديد ، ويحمي الدولة العثمانية بما يملكه من حول وطول ، وكان للهند التي تحكمها بريطانيا زعيمة الحلفاء النصيب الأوفر من هذه المظـاهرات الصاخبة ،والتبرعات السخية ، والتضحيات النادرة ، والاعتقالات المنتشرة ، والخسائر الفـادحة ، وانتشرت حركة واسعة من الاستقالات من الوظائف الحكومية الكبيرة ، ومقاطعة البضائع الأجنبية التي جعلت المواطنين والأجانب يعترفون بقوة العـاطفة الاسلامية ، والمواساة الانسانية ، وقد قاد هذه الحركة الجبارة مولانا أبو الكلام آزاد ، وشيخ الهند محمود الحسن الديوبندي ، ومولانا محمد علي ، وأيدها الزعيم غاندي وزملاؤه ، وكان ذلك سبباً من أسباب انبعاث الشعور القومي الوطني في الهند ، وحركة التحرير في المواطنين الهنود أدى إلى استقلال هذه البلاد .

ووقعت كارثة فلسطين ، وقد فقد المسلمون جانباً كبيراً من حماستهم الاسلامية ، وحميتهم الدينية بطول الحكم الانجليزي ،

www.abulhasanalinadwi.org

وباخفاقهم في المواقف التي وقفوها من العالم الاسلامي ، ولكنهم لم يقصروا في إبداء سخطهم للتقسيم الجائر ، وقيام دولة اسرائيل في قلب العرب ، فكانت مؤتمرات عظيمة شهدها ألوف الآلاف من المسلمين ، وكانت إضرابات ، ومقاطعات ، وبرقيات ، وقرارات ، وهذا جل ما كان يملكه المسلمون في هذه البلاد ، وجاء العدوان الثلاثي ، ومعركة بور سعيد ، فسجل المسلمون تأييدهم للحكومة المصرية ، والشعب المصري المسلم العربي ، واستنكارهم لهذا الهجوم الغاشم ، وكذلك كان موقف المسلم من قضية الجهاد الجزائري الباسل المنقطع النظير ، موقف تأييد صارخ ، وتحمس شديد ، وتتبع دقيق لأخباره ، وكانت الصحف تتسابق في نشر أخبار بطولاته ، ومظالم فرنسا الهمجية ، وكانت الأسر الاسلامية تكتتب ، وتجمع التبرعات السخية أحياناً ، والمتواضعة أحياناً أخرى ، وترسلها إلى ممثل حكومة الجزائر الحرة في دهلي الجديدة ، وبذلك يضع المسلمون الهنود قلبهم الكبير في جوار القلوب المسلمة الدامية المقروحة .

سنذكر كل ذلك ـ والحديث ذو شجون ـ ولا منّ ولا

www.abulhasanalinadwi.org

فخر ، فكل ذلك ما يفرضه الاسلام ، وما تفرضه الأخوة الاسلامية ، وما تفرضه العاطفة الانسانية ، وقد جاء في حديث شريف : « ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم ، كمثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى[1] » ولا خير في المسلمين إذا عاشوا لأنفسهم ، وفي دائرة ضيقة جغرافية محدودة، ويرى المسلمون من واجبهم المقدس أن يستنكروا الظلم والقسوة على بني النوع الانساني ، وعلى الضعفاء ، وعلى الأقليات ، ولو صدر ذلك في بلد يتسمى بالمسلم ، أو يتزعم الاسلام، لأن الظلم قبيح في كل بلد ومن كل شخص ، وهو من المسلم أقبح ، إنهم لا ينسون قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين) النساء ، الآية : ١٣٥ .

إن مقابل كل ذلك فوجىء المسلمون في الأيام الأخيرة بانصراف الشعوب الاسلامية ـ حتى الشعوب العربية التي لم تزل معدن الغيرة ومنبع الحمية ـ إلى نفسها وقضاياها ، والجهل ، والاعراض عما

(١) أخرجه البخاري ومسلم ، بألفاظ مختلفة .

www.abulhasanalinadwi.org

يقع في مناطق أخرى من حوادث وخطوب ، وكان الجانب اليقظ والنشيط الذي تقدمت فيه الصحافة تقدماً كبيراً ، وتقدم الوعي السياسي قد أصيب بالقومية التي تزن الأشياء والقضايا في ميزانها الخاص ، ميزان المصلحة القومية ، وينظر إلى كل قضية من ناحية تبادل المنافع والمساومة السياسية ، ينظر إلى الامم المتحدة ، ومجلس الأمن ، ومن يؤيد موقفه فيه، قبل أن ينظر إلى مصلحة المسلمين العامة ، وقبل أن ينظر إلى ما توحيه الأخوة الاسلامية ، والمواساة الانسانية والعدالة، وينظر إلى من هو المسؤول عن هذه الحوادث، قبل أن ينظر إلى من يصبح فريسة هذه الحوادث ، وقد يوحيه ذلك أن يسكت على أعظم مجزرة ، وأقسى همجية يقتل فيها آلاف من الأبرياء والأطفال الصغار ، وتحرق فيها ألوف من البيوت والمخازن والمصانع التي يملكها المسلمون ، وتنتهك فيها أعراض النساء العفيفات ، وتحرم آلاف من الأغنياء والتجار الكبار ما يمسك رمقهم ويكسو عورتهم ، ويبقون في البرد الشديد تحت السماء ، ويصدر فيها من أنواع القسوة والنذالة ما تستنكف عنها الحيوانات ، وما يصرخ عليه زعماء هذه الطائفة المعتدية ، ويثار الموضوع في

www.abulhasanalinadwi.org

البرلمان ، ويلقي النواب المنصفون الأحرار من كل طائفة دينية ، ومن كل حزب سياسي خطباً قوية مكشوفة ، وكلمات مجلجلة مدوية ، يعترفون فيها بهمجية المعتدين ، وهول هذه الحوادث وفظاعتها .

أما كثير من الحكومات الاسلامية والشعوب العربية ، فتسكت على ذلك سكوتاً مطلقاً ، ولا تنشر صحفها مايجلّي حقيقة هذه الحوادث ، ويثير الرأي الاسلامي العام ، ويطلع المسلمين على مآسي إخوانهم الأشقياء ، ولا تعير هذه الحوادث من العناية والاهتمام ربع ما أعارت كونغو وزعيمها لومبا ، ولا تنبس سفاراتها ببنت شفة ، ، لا تتلقى الحكومة برقية استنكار واستياء تقوي موقفها العلماني ، وتشجعها على مقاومة هذه الموجة الطاغية التي تكتسح البلاد وتهددها في حريتها وسمعتها .

إن عصر الزحف ، وجر الجيوش ، ونصر المظلوم بالسلاح قد ولى من غير رجعة ، ولا يزيد التدخل الحربي أو التهديد القضية ـ إن كان هنالك من يستطيع ذلك ـ إلا تعقداً . ويجب على المسلمين في كل بلد أن يتوكلوا على الله ، ويعتمدوا على كفايتهم ،

www.abulhasanalinadwi.org

ومواهبهم ،وقوة مقاومتهم، ومساهمتهم الغالية المخلصة في بناء الوطن وحراسته ، وعلى الحقوق التي يمنحها الدستور ، وتعلنها الحكومة الجمهورية العلمانية، ولكن من حقهم على إخوانهم في الخارج أن يبدوا بين حين وآخر عنايتهم باخوانهم الذين تربطهم بهم رابطة العقيدة والثقافة ، والذين قادوا الركب الاسلامي الثقافي في فترات كثيرة من التاريخ ، وأمدت بلادهم العالم الاسلامي بنوابغ عبقريين ، وبعض عماليق الفكر الاسلامي ، وأتحفت المكتبة الاسلامية العالمية بطرف ونفائس لا تزال منقطعة النظير ، والتي لا تزال مركزاً من أقوى مراكز الدعوة الاسلامية والعلوم الاسلاميه ، وأن يطلعوا على أخبارهم وما يجيش في صدورهم من الآمال والآلام ، لا ننكر عليهم ذلك سياسة عالمية أو مصالح وطنية ، فذلك في صالح الانسانية ،وذلك في صالح الأمم والبلاد جميعاً . فالانسانية ثروة مشتركة ، والحياة الانسانية أمانة للجميع، والكرامة الانسانية ،يجب أن تظل مقدسة عند الجميع ، لايخوّل لأحد أن يتعدي عليها،أو يعبث بها .وإهدار كرامة إنسان إهدار لكرامته الانسانية كلها ، ونشر للفوضى وعودة الى حياة الغابات .

www.abulhasanalinadwi.org

(من أجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعـــاً ، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً) المائدة ، الآية : ٣٢ .

إن هذا الوضع غير الطبيعي الذي يعيش فيه العـــالم ، من السكوت على الاجرامات ، والاعتداءات في أي بلد ، ووزن القضايا كلها في ميزان المصالح القومية وضع خطر جداً ، إنه يفتح باب الفســـاد والفوضى ، ويمزق الأسرة الانسانية في أجزاء وأوصال لا يتصل بعضها ببعض إلا عن طريق المصالح السياسية، وطريق الأغراض والمطامع ، والأرباح والمنافع ، إنهـــا رابطة حيوانية لا يفتخر بها انسان ، ولا يتنزل اليها مسلم .

★ ★ ★

www.abulhasanalinadwi.org